



العاشرة مجلة

المجلد الثالث، ٢٠١١

مجلة مسجلة لدى المسجل للجرائد في الهند (RNI) برقم KERARA00011
ومجلة معتمدة لدى جامعة كيرلا، الهند



قسم العربية، كلية الجامعة، تروناترلم، كيرلا، الهند، 695034

أدب الأطفال العربي وتطوره

سهيل. ب. ك.

أستاذ مساعد، قسم العربية، الكلية الحكومية بكاسركوت، كيرالا

أدب الأطفال فرع جديد من فروع الأدب، يمتلك خصائص تميزه عن أدب الكبار. يسهم هذا الأدب في تكوين شخصيات الأطفال، وفي نموهم وتطوير مداركهم وإغناء حياتهم بالثقافة. يعتبر أدب الأطفال وسيطاً تربوياً، يتبع الفرصة أمام الأطفال لمعرفة الإجابات عن أسئلتهم، واستخدام الخيال وحب الاستطلاع كما يزود المعلومات عن البيئة والمجتمع.

مفهوم أدب الأطفال

أدب الأطفال: شكل من أشكال التعبير الأدبي، له قواعده ومناهجه، سواء منها ما يتصل بلغته، وتواافقها مع قاموس الطفل ومع الحصيلة الأسلوبية للسن التي ينفف لها، أو ما يتصل بمضمونه و المناسبة لكل مرحلة من مراحل الطفولة. هذا الشكل الفني من الكلمة المنطقية، أو المسموعة، أو المرئية قد يأتي في صورة قصة، أو حكاية، أو مسرحية، أو يحكي قصة مغامرات، أو بطولات. وقد يجري على لسان الإنسان، أو الحيوان، أو الجماد، وقد يأتي في شكل خرافية أو أسطورة أو حكاية شعبية أو حيوانية، أو قصة تاريخية، أو تهذيبية، أو أنشودة، أو أغنية، يستهوي الأطفال ويتمتعهم أولاً، ويتحقق رسالته الجمالية، فينمى فيهم الإحساس بالجمال وتنزقه ثانياً، ثم يستهدف عن طريق التسلية والترفيه والفرح أن يقتصر في نفوسهم تجارب البشرية ثالثاً. فأدب الأطفال هو الأدب الذي يخصص للصغر في سن ما قبل المدرسة إلى سن المراهقة والبلوغ. وهو خبرة لغوية في شكل فني يبدعه الفنان، يتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمدح، وينمى فيهم الإحساس بالجمال وتنزقه، ويقوى تقديرهم للخير ومحبته، ويطلق خيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية، وبينى فيهم الإنسان. يقول د/ هادي نعمان الهيتي عن أدب الأطفال هو "الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وأحساساً وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال وتتخذ أشكال القصة والمسرحية والمقالة، والقول عن الأدب بأنه الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وأحساساً وأخيلة قد ينطبق على الأدب عاماً، الموجه للصغر والكبار على السواء".^١ ولكن قول الهيتي بوجوب ملائمة تلك الآثار الفنية لمدارك الأطفال، أو ضرورة ملائمة مضامين تلك الآثار مع قدرات الأطفال. وفي ضوء ما سبق، يمكن أن نجد لأدب الأطفال في المرحلة العمرية التي يدور الحديث حولها مفهومين رئيسيين:

(١) أدب الأطفال بمعناه العام: وهو يعني الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة، مثل كتب الأطفال العلمية المبسطة، والمصورة، وكتبهم الإعلامية، ودوائر المعارف الموجهة إلى الأطفال.

(٢) أدب الأطفال بمعناه الخاص: يعني الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية سواء أكان شعراً أم نثراً، سواء أكان شفوياً بالكلام، أو تحريرياً بالكتابة مثل قصص الأطفال ومسرحياتهم وأغانيهم وما إلى ذلك.

تطور أدب الأطفال العربي

وقد خلص البعض إلى أن أدب الأطفال العربي قديم وبعضه مشمول في أدب الكبار. وإن عبارة "أدب الأطفال" عبارة قديمة. والأذرعي المولود سنة ٧٥٠ هـ كان ملماً بأدب الأطفال أي قبل أدب الأطفال الأوروبي ب١٣٥ سنة. ويختلف الباحثون حول هوية أول كتاب عربي، فهناك من يرى أن أول كتاب أطفال عربي حديث هو "النفاث" في القصص "لرزق"

^١ ثقافة الأطفال، د/ هادي نعمان الهيتي. ص ١٠٥ - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٨

الله حسون، من حلب، وكان صدوره سنة ١٨٦٧. أما أحمد نجيب فيقول: إن قصة 'قطبيطات العاز' لمحمد حمدي وجورج روب التي نشرتها دار المعارف سنة ١٩١٢ هي أول كتاب أطفال عربي، وأن ما سبقه من كتب لا تتحلى بالصفات المطلوبة في كتاب الأطفال. ويرى عبد التواب يوسف أن أقدم قصة عربية هي 'الأسد والغواص'. وأدب الأطفال في العالم العربي حديث، وجذوره تمتّن إلى مصر حيث حملت مصر مشاعل الريادة لهذا الفن في الأدب الحديث. وفي منتصف القرن التاسع عشر العيلادي أتمَّ محمد عثمان جلال (١٨٢٨-١٨٩٨) ترجمة معظم الحكايات الشعرية الغربية إلى العربية نقلًا عن الشاعر الفرنسي لافونتين Lafontaine (١٦٢١-١٦٩٥) ويعتبر إصدار مجلة روضة المدارس المصرية في عام ١٨٧٠ ونشرها المواد الأدبية للطلاب والكتاب مرحلة غير مسبوقة في نشر الكتابات الأدبية للناشئين. ويرى بعض الدارسين الذين تناولوا تاريخ أدب الأطفال بعام ١٨٧٥، كبداية لنشأة أدب الطفل في الأدب العربي الحديث. ودليلهم إصدار رفاعة الطهطاوي لكتابه 'المرشد الأمين في تربية البنات والبنين'، في تلك السنة.

وفي العصر الحديث كان للأدب العربي دور بارز في ميدان الشعر. فقد أنجز بعض الرواد أمثل أحمد شوقي ومحمد الهراوي. ويمكن القول إنَّ من خطأ الخطوات الأولى في مجال أدب الأطفال محمد عثمان جلال ثم إبراهيم العرب وأحمد شوقي وثلاثتهم شعراء. وتبع شوقي محمد الهراوي الذي نظم الأناشيد والأغاني للأطفال. وفي مجال الكتابة النثرية ألف علي فكري عام ١٩٠٣ كتابه 'مسامرات البنات'، كما وضع في ١٩١٦ كتابا آخر للبنين سماه 'النصح المبين في محفوظات البنين'. والمحاولات المذكورة كانت محفزاً للكثيرين ليتابعوا الطريق أمثل: عمران الجمل وفائز الجمل وحسن توفيق ومحمد عبد المطلب، وقد غلب على كتبهم الطابع التعليمي. وتلا جيل الرواد جيل بُرُز في ثلث الثاني من القرن العشرين أمثل: عمر فروج وحبوبة حداد في لبنان، وعبد الكريم الحيدري في سوريا، وبعضهم تجاوزت شهرته حدود البلاد مثل: كامل كيلاني ومحمد سعيد العريان وأحمد نجيب. وقد تميزت كتابات هذه المرحلة بالاقتباس والنقل من اللغات الأجنبية. وحاول مؤلفو هذه المرحلة إحياء التراث العربي فلجموا إلى ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والحكايات الشعبية، ليزودوا الأطفال بأمتع القصص من هذا التراث. ويعتبر كامل كيلاني الرائد الفعلي وال حقيقي لأدب الأطفال في اللغة العربية. وقد كتب كيلاني أكثر من مائتي قصة ومسرحية للأطفال. وكانت أول قصة له هي 'السند باد البحري' (١٩٢٧).

كانت الترجمة مصدراً رئيسياً من مصادر أدب الأطفال في العالم العربي بين الحربتين العالميتين. وحين كانت الترجمة أساساً لهذا الأدب في مصر فإنها لم تكن في سوريا والعراق. ومقابل تأخر ظهور أدب الأطفال في دول الخليج تطور هذا الأدب بسرعة في لبنان وسوريا ومصر والعراق وتونس. أما في المغرب كان أدب الأطفال يخطو خطواته الأولى في سنوات الثمانين. ويتميز الثلث الأخير من القرن العشرين بالتنافس بين دور النشر لإصدار مجموعات ملوّنة جميلة ذات طباعة جذابة للأطفال، وقد تجاوز التنافس حدود الكتاب ليصل إلى برامج الكمبيوتر الخاصة بقصص الأطفال وقصائد them، وكما أنه يتم استغلال الكثير من البرامج الترفيهية والتعليمية للأطفال.

المصادر والمراجع

1. أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب ، دار الكر العربي، القاهرة ١٩٩١
2. ثقافة الأطفال، د/ هادي نعمان الهيتي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٨
3. أدب الطفل العربي، د.حسن شحاته ، مجلة الإتحاد، مصر ١٩٩٦/١٢٠
4. أدب الأطفال فلسفة فنونه وسانطه ، د/ هادي نعمان الهيتي، الهيئة المصرية العامة لكتب القاهرة بالإشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٧٧
5. أدب الأطفال دراسة وتطبيق، عبد الفتاح أبو معال ، دار الشروق للنشر والتوزيع الأردن ١٩٨٨